الصراع بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجمعية علماء السنة 1932–1954 م

قراءة في المواقف

Le conflit entre l'Association algérienne des universitaires muscleman's et l'Association des universitaires sunnites 1932-1954

Lire dens les positions

الاستاذ: عامر أقحيز

المؤسسة: المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

amerouhize@gmail.com

الدكتور: مياد رشيدٌ

المؤسسة: جامعة المدية يحي فارس

rachidmiad@yahoo.fr

الملخص:

عرفت الجزائر عام 1931م ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي أسستها كوكب من العلماء الإصلاحيين ورجال الطرق الصوفية، أظهرت هذه الجمعية من،وم الأول لتأسيسها العداء للاستعمار الفرنسي وسياسته فشعارها خير دليل العربية لغتنا والجزائر وطننا والإسلام ديننا مما جعل الفرنسيين يعلنون الحرب عليها وكان من بين أسلحتهم جمعية علماء السنة والتي هي انشقاق للطرقيين عن الجمعية كما أن فرنسا أرادت مغالطة الشعب بتسميتها بالسنة وقد كان صراعهما فصل مهما في تاريخ الجزائر بين الإصلاح والرجعية الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: جمعية علماء المسلمين. السنة. الاستعمار. الطرق الصوفية.

Abstract:

Fondée en 1931 par association des savants muscleman's Algerians fondée par une planète de scientifiques réformistes et d'hommes de soufis, cette association s'est montrée dès le premier jour de son hostility fondatrice au colonialisme français et à sapolitique. Les érudits sunnites, qui sont une scission de routes pour l'association et la France a voulu dénaturer le peuple en l'appelant sunnites et leur conflit était une séparation importante dans l'histoire de l'Algérie entre réforme et réaction colonial

Key words : Muslim Scholars Association. The year. Colonisation. Sufi ordres

المقدمة

ابتداء من منتصف العشرينات من القرن الماضي ظهرت في الجزائر الكثير من التوجهات السياسية خاصة الاصلاحية الدينية وعلى راسهم الاصلاحيون والطرقيون أتباع الطرق الصوفية.

أسس الطرفان الكثير من المؤسسات الدينية و التربوية و الثقافية و الاجتماعية التي حاولوا من خلالها النهوض بالمجتمع الجزائري الا ان الاصلاحيين و الطرقيين تشابهوا في الصورة النمطية التي اخذها الشعب عنهم انهم مصلحون و دعاة الدِين الا ان هؤلاء قد انقسموا الى فرقيتين متصارعتين كان صراعهم من أهم الصدامات التي عرفتها الجزائر خلال العشرينات و الثلاثينات من القرن الماضي لان هذا الصراع الذي تعددت فيه الوسائل المختلف و على رأسها تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و جمعية علماء السنة وقد طغى على الصراع الجانب الديني و السياسي والسؤال الذي يطرح نفسه ماهي أساب هذا الصراع ؟ وموقف الإدارة الاستعمارية منه؟ وكيف كان موقف الطرفين من الاستعمار الفرنسي؟

تعود أهمية الدراسة الى أهمية هذه المرحلة من تاريخ الجزائر المعاصرة، فهي الفترة التي تسبق اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر، كما ظهرت فيها الاتجاهات السياسية والدينية للحركة الوطنية في الجزائر وأغلب الدراسات في هذه المرحلة من تاريخ الجزائر خاضت في المواضيع التي لها علاقة بالاتجاهات واهم مطالبها وأهدافها وبرامجها ورجالات الحركة الوطنية ولكنها لم تتطرق الى مواضيع ربما ارى فيها انها كانت شائكة وهي موقف هذه التيارات السياسية والدينية من بعضها البعض.

1- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931م

1-1-تأسيس الجمعية

جاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أدق مرحلة عبرتها الجزائر وأتت في ظروف صعبة تتجسد في المشاريع الفرنسية والتي تلغي وجود الجزائر تاريخيا وواقعيا وفكريا، وقد أتت هذه الجمعية لتقيم توازنا على المستوى الثقافي والحضاري والذي يؤدي بدوره إلى توازن على المستوى السياسي. وخرجت هذه الجمعية إلى الوجود في الخامس من مايو عام 1931 وكان مركز نشاطها الأول نادي الترقي بالجزائر العاصمة (طهاري، 2010م، ص 11)

غير أن فكرة تأسيس الجمعية تعود إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى حين فكر وعمل ابن بأديس، سنة 1924 على تأسيس جمعية تجمع شملهم، كما دعت إلى ذلك أيضا جريدة الشهاب وقد كانت ظروف تأسيس الجمعية مساعدة فقد قال البشير الإبراهيمي:

"بعد شعور الأمة بسوء الحال... والشعور بالفساد هو أول مراحل الإصلاح" (بالصفصاف، 1983ن، ص 99) وقال أيضا :

"لو تأخر ظهور جمعية العلماء عشر سنة أخرى، لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا (التركي، 1969م، ص 99)

1-2-أهداف الجمعية

اقترن اسم جمعية العلماء منذ نشأتها بإحياء تع،م الإسلام الصحيح ما فسد من قيمة نتيجة للخرافات والبدع والطرق الصوفية المنحرفة عن جادة الإسلام لذلك كان مبدؤها إصلاحي وتعليمي غايته تحرير الشعب الجزائري وذلك عن طريق العقول والأرواح والذي يليه تحرير الأوطان والشعوب لان الأول أصل للثاني (الابراهيمي، 1963م، ص 34)

ومن هنا تعددت أعمال الجمعية حيث تظاهر قادتها أنها جمعية تهذيبية، غايتها تهذيب المسلمين، وخلق جيل ذو ثقافة إسلامية. وهناك أراء كثيرة لها نفس القول فيما يخص أهداف الجمعية إذ يحصرها البعض في النشاط التعليمي العربي، ومحاربة الخرافات وتنقية الإسلام مما علق به من الشوائب،وقد لخص أحد أعضاءها سنة 1935 أهدافها فيما يلي: "إحياء الإسلام بإحياء القران والسنة، وإحياء اللغة العربية وآدابها، وإحياء التاريخ الإسلامي،واثأر قادته.

و قد ذكر البشير الإبراهيمي أن جمعية العلماء جاءت لخدمة الإسلام بإصلاح عقائده، وتوضيح، و تفهيم حقائقه، و إحياء آدابه، و تعمل لإحياء اللغة العربية و آدابها و تاريخها في موطن عربي، و تعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين و الدنيا (الورتلاني، دون سنة، ص 197) بينما يربطها البعض الأخر بالنشاط السياسي، ومعاداة الاستعمار و تكوين الدولة الجزائرية ذات القيم الإسلامية، و البعد العربي الأصيل (بالصفصاف، 1983م، ص 105)

2-1-وسائلها

لقد رسمت الجمعية لنفسها برنامجا إصلاحا دقيقا يمكن من خلاله التحكم التدرجي في عودة إحياء الذات، وإنما الفكر وتنويره، وقد اتبعت مجموعة من الوسائل التي ظلت معالم مميزة في منهجية الحركية الإصلاحية، ومن بين هذه الوسائل نذكر:

- توظيف مجالس التذكير: حيث تجلى ذلك منذ عودة كوكبة العلماء من المشرق العربي وخوضهم لحركة إصلاحية قوية تمثلت في الأسلوب الخطابي الدعوي من خلال الحلقات المسجدية المنظمة وقت المناسبات الدينية، وحتى في مناسبا المآتم، وكانت الدروس توعوية تذكر الجزائريين بدينهم ودنياهم.
- الاعتماد على التربية والتكوين: وهي وسيلة أساسية في العمل الإصلاحي الذي تبنته الجمعية، ولم تعتمد فقط على مدرستها الحرة، بل لجأت أيضا إلى التعليم المسجدي والمكتبي والمنزلي، وقد استفادت الجمعية من المناهج التعليمية المتبعة في أقطار المشرق العربي كمصر لتطبقها في مدرستها الحرة التي نهلت من العلوم العصرية كالفيزياء والرياضيات والفلك فاكتسبت بذلك طابعا علميا ووظيفيا مكنها من التصدي للمدرسة الإصلاحية الكولونيا ليه التي تزعمها "جول فيري" مع نهاية القرن التاسع عشر(بالصفصاف، 1983م، ص 101)
- الخطاب النهضوي المباشر: فقد كانت منابر المساجد والمؤسسات الثقافية ودور العلم وحضور المناسبات الدينية، وحتى الولائم والأفراح كلها معالم وظفها رجال الإصلاح في بعث روح،قظة وإزالة ربق الجهل ومواجهة الطرقيين، وأصبح الخطاب الحداثي والدعوة إلى تنوير الفكر من مميزا الطرح الجديد الذي تبناه رجال الإصلاح الذين تعرضوا إلى عدة مضايقات من بينها صدور قرار ميشال المشؤوم سنة 1933 لخنق صوت ابن باديس والطيب العقبي واتهامها بالتعاون مع التيار الشيوعي لضرب مصالح الإدارة الفرنسية.(مريوش، 1996، ص 4)
- انتهاج ثقافة الرحلات والجولات في ربوع الوطن: لقد برمجت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العديد من الخرجات الميدانية والجولات إلى عديد المناطق الوطنية بغرض تحسيس المواطنين والأتباع خاصة بأهم القضايا المطروحة، ومن ثم فإن جولات الجمعية لم تكن سرية بل كانت معروفة حتى لدى الإدارة الكولونيالية من ناحيتي الزمان والمكان، وكانت المناسبات كعيد الفروسية وموسم جني التمر، ومن خلال توزيع الجوائز في نهاية كل عام دراسي قد استغلتهاالجمعية لنشر مبادئها وأهدافها الإصلاحية وتوهم فرنسا بأنها عن قضايا السياسة. (مريوش، 1996، ص 5)

- كتابة العرائض وإرسال الوفود: عبرت جمعية العلماء في العديد من المرات عن مطالبها بإرسال برقيات الاحتجاج للإدارة الفرنسية تتضمن المطالبة بتحرير الديانة الإسلامية وحرية التعبير والتنقل وترسيم اللغة العربية في التدريس والإدارة، والمتصفح لجرائد الجمعية يجد بها الكثير من برقيات الاحتجاج ضد كل إجراء فرنسي تعسفي في حق الجزائريين، كما قدمت مذكرة مطالب إلى لجنة الإصلاحات الإسلامية سنة 1944 (مريوش، 1996، ص 6)
- تأسيس الحركة الصحفية: مثل جريدة السنة والصراط والشريعة والبصائر وتوجيهها لخدمة الإصلاح وتثقيف وتوعية المواطنين إيصال صوت الجزائر إلى الخارج، وكل ذلك بمثابة التحدي ضد أكاذيب وتعتيم الصحافة الفرنسية حول قضايا الجزائر.
- تأسيس الجمعيات الخيرية والنوادي الثقافية ومثال عن ذلك إنشاء الجمعية الخيرية الإسلامية بالجزائر العاصمة التي أوكلت،ها خدمات متنوعة وذلك اهتمت بتقديم الخدمات الاجتماعية للمعوزين والمحتاجين من الجزائريين.
- بعث النشاطات الرياضية البدنية: حيث ساهم في تأسيس فريق الاتحاد الرياضي الإسلامي السطايفي سنة 1933، وهو "اتحاد سطيف" ح،ا (مريوش، 1996، ص 116)

2- جمعية علماء السنة

2-1-تأسيسها

عندما أحس الطرقيون بأن ضربات الاصلاح بدأت تدك قبابهم التي كان مريديهم يختلفون عليها ليل نهار وشعروا بأنهم صاروا يفقدون مواقعهم الاجتماعية وامتيازاتهم المادية يوما بعد يوم بعد أن اشتد ساعد الحركة الاصلاحية وزادت قوتها في عدة جبهات وظهرت لها هديد الصحف التي تبشر بالإصلاح وتحارب الطرقيين من دون أي هوادة، الذي فرض على الطرقيين الرد على الاصلاحيين بمختلف الوسائل وفي مقدمتها تأسس جمعية علماء السنة تأسست هذه الجمعية رسميا بتاريخ 15 سبتمبر 1932.

مستشارا في المجلس الإداري للجمعية المنتخب عام 1931، لذلك اتخذ جانبا لمعارضة للحركة الإصلاحية، وكان خلال وجوده في المجلس يمثل وجهة نظر الطرقيين (merad،1999 ،p25)

بعد فشل الطرقيين في انتخابات المجلس الإداري للجمعية في يوم 23 ماي 1932 اثر مقاطعته لها عندما تبين له معجز هم عن تامين الأغلبية، وراحوا يدعون إلى إنشاء جمعية منافسة لجمعيةالعلماء، فكانت جمعية علماء السنة التي جمعت رؤساء الزوايا والموظفين الدينين المسلمين في الإدارة الحكومية،

بين الشيخ الابراهيمي أن الطرقيين عندما لم يستطيعوا السيطرة على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و التي جاءت محاربة للبدع و الخرافات التي كانوا ينشرونها وكذا الفتك برجال الاصلاح الا انهم فشلوا فشلا ذريعا و خرجوا منها مهزومين و مدحورين الامر الذي جعل هؤلاء المنشقين يتحدون الجمعية من الخارج بعد أن فشلوا في تفجيرها من الداخل فعمدوا إلى تأسيس جمعية موازية سموها جمعية علماء السنة وهي اسم على غير مسمى لأنها كانت تعمل خلاف ما جاء في السنة المحمدية الشريفة التي تدعوا الى التزام الجماعة و عدم الخروج عنها (الابراهيمي، 1982م، ص 58)

يقول " ... لم يقف العلويون أذنابهم عند حد ذلك الهجوم الذي كان أوله كيدا و أخره فضيحة، بل جمعوا أمرهم و شركائهم و قرروا في اجتماع تولى كبره رئيسهم الاكبر احمد بن عليوة محاربة جمعية العلماء بكل وسيلة بكل قوة و تقاسموا

ارتكاب ما يحل و ما يحرم في هذا السبيل و انفقت لهم الحيلة بإرشاد بعض أذناب الإدارة على التأسيس جمعية طرقية معناها و حقيقتها حلولية في باطن باطنها علمية في ظاهرها و ما يراه الناس منها ليوهموا العامة انهم يحاربون العلم بالعلم لا العلم بالجهل فبثوا في الزوايا وعبيدها دعوة جامعة الى تكوين هذه الجمعية التي وصفوها بانها جبهة قوية تقف في وجه الاصلاح وتنازل جمعيته وجها لوجه ودار لدار بعد أن لم يبق في إسقاطها بالحيلة و الاستيلاء عليها بالمكر(الابراهيمي، 1982م، ص 59)

وفي رواية نشرتها جريدة البلاغ الجزائري حول حادثة الانشقاق تقارب الرواية التي قالها الشيخ عبد الحميد بن باديس، لكنها تختلف معه في تحليل النوايا، إذ اعتبرت أن ما قام به الشيخ عبد الحميد بن باديس من مماطلة في الانتخاب واستدعاء للشرطة وتكوينه للجنة تقييد المنتخبين ماهي الا مكيدة أراد من خلالها استبعاد الذين لا ينتمون الى حزبه، وأبدت أسفها على ماحل بالجمعية التي طالما علقت عليها الامة آمالها لجمع شتاتها (البلاغ الجزائري، 1932/05/27م، ص 2) اعتبرت البلاغ الجزائري أن الإدارة الجديدة للجمعية فاقدة للشرعية لأنها حسبها انتخاباتها غير قانونية وجاءت بدون رغبة الأمة (الرابحي، 1932م، ص 2) كما نشرت احتجاج أعضائها المستبعدين (المشتركون، 1932م، ص 1)

وكان المحافظون والطرقيون الذين خرجوا من نادي الترقي بقوة الشرطة كما يدعي بيانهم، أو انسحبوا غاضبين، كما يدعي بيان الجمعية لما رأوا أن أمر الجمعية قد أفلت من أيديهم واستبد به المصلحون وحدهم وتبين كما تبين لابن باديس نفسه أن لا سبيل للمفاهمة بين الكتلتين لان الشقة بينهما واسعة دينيا وسياسيا، فكروا في تأسيس جمعية أخرى ولم يمر الا وقت قصير حتى أعلنوا عن تأسيس جمعية علماء السنة الجزائريين (بن عقون، 1988، ص 249) التي تم تعيين لجنتها التحضرية من المشايخ مصطفى حافظ وهو مدرس بمدرسة جمعية السلام والشيخ الرابحي مدرس بمدينة البليدة و الشيخ أحمد الاكحل، الشيخ محمد حدوني بن محي الدين المدير العام للبلاغ سابقا، السيد كراد خليفة عضوا بالمجلس البلدي، الشيخ تهامي، العزي محمد وهو العدل بالمحكمة المالكية بالعاصمة، الشيخ الحاج السعيدي بن محمد ن وأغلب هؤلاء من أعيان وفضلاء العاصمة (صديقكم، 1932/06/03، ص 1)

ومهما يكن من أمر فأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أصبحت جمعيتين: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس وبعضوية المصلحين وجمعية علماء السنة الجزائريين التي تم تأسيسها رسميا يوم 15 سبتمبر 1932م والتي وضعت تحت رئاسة مولود الحافظي وبعضوية من الطرقيين والمحافظين، واتخذت هذه الأخيرة نادي الاخوة الإسلامية بالعاصمة الجزائر مقرا لها وهو نادي الرشاد سابقا (ابن عقون، 1982م، ص 233).

2-2-أهدافها

وقد لوحظ أن أهدافها كانت قريبة بعض الشيء من أهداف جمعية العلماء، وتتلخص أهم بنودها فيما يلي:

- جمعية إسلامية تعليمية وخيرية.
- تمتنع هذه الجمعية عن الخوض في الأمور السياسية وعن كل ما يمكن أن يثير الاضطراب بين الفئات الدينية والعصبية.

تهدف الجمعية إلى إحياء السنة والتق،د الدينية ونشر الفضيلة والتمسك بالأخلاق وفقا لما جاء في الكتاب والسنة، وتع،م المذاهب الأربعة، ومبادئ الفقه والتصوف، والدين الإسلامي ويلاحظ هنا أن جمعية علماء السنة اعتبرت التصوف مصدرا من مصادر الأخلاق والدين، وهذا ما يتنافى مع مبادئ جمعية العلماء الإصلاحية.

3-2- وسائلها

وبعد انشطار الجمعية الى جمعيتين والرئاسة الى رئاستين والى عضويتين كما تقدم، اندفعت جمعية علماء السنة الى تبرير مسلكها ثم جلب الأنصار،ها ثم الى محاولة الاستيلاء على الفكر العام، فرجعت المهاترات على أشدها واستعاد السباب والشتم شبابهما، وأنشأت لذلك جمعية علماء السنة جريدة البلاغ والرشاد والإخلاص بالنسبة للمحافظين وأما الفاحشة فكانت المعيار (ناصر، 1989م، ص 194)

والحقيقة أن البلاغ الجزائري بحكم منبتها الطرقي وتوجهها المحافظي تحولت الى منبر الى جمعية علماء السنة تنشر لأصحابها وتروج افكارها وتتبعه نشاطها، حتى قيل إن جمعية علماء السنة جمعية علوية (ابن عقون، 1982م، ص 251). ورغم تأسس الجمعية (جمعية علماء السنة) لجريدة الإخلاص في 14 ديسمبر 1932 تحت إشراف المولود الحافظي وإدارة عمر إسماعيل، والتي أصبحت اللسان المعبر عن جمعية علماء السنة، الا أن البلاغ الجزائري لم تتوقف عن دعم جمعية علماء السنة وظلت تدافع عنها (الحافظي، 1932/08/05م، ص 2)

3- الصراع بين جمعية العلماء المسلمين وجمعية العلماء السنة

3-3- الأسباب

- **الاختلاف في أصول الاعتقاد ومصادرها**

يعد السبب الأكبر في كلما حصل بين الجمعية والطرق الصوفية، ومن خلاله سنعرف نوع التوجه السلفي للجمعية، ونوع التوجه الصوفي للطرق الصوفية، وعلاقة ذلك بالخلاف بينهما (الطالبي، 1997، ص 150)

- ادعاء الطرقيين أن الاصلاحيين هم من بدأ الصراع من خلال الأذية الكبير التي حصلت لرجال الطرق،من قبل العلماء عبر الصحف الاصلاحية مثل الشريعة والصراط والسنة النبوية حيث يدعى الطرقيون أن هذه الصحف كانت بمثابة الثعلب فيهم وفي أعراضهم، كيف نتصور أن تبقى الجرائد الطرقية في موقفها الاول المساند للجمعية؟

ولهذا، فقد كان من الطبيعي أن تغير موقفها، وقد اعتبر ذلك في الباب الأول خسارة للجمعية، من طرف الكثير من الكتاب والمؤرخين لأنها مع قدرتها الدبلوماسية في التعامل مع المستعمر لمتستعمل تلك القدرة في تعاملها مع إخوانها من أصحاب الطرق الصوفية. (ابولحية، 2015، ص 309)

- مكيدة الاستعمار:لا يختلف اثنان من مؤرخي الجزائر أن الاستعمار الفرنسي كان وراء اندلاع الصراع بين الاتجاهين الطرقي والاصلاحي اللذين مثلا التيار الاسلامي في الجزائر خلال حقبة العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي ان صح التعبير.

كانت مصالح المستعمر منوطة بتفرق الجزائريين وصراعهم فيما بينهم، ولهذا انتهجت فرنسا – كما عرفنا سابقا- سياستها المعروفة (فرق تسد) ،وقد مارست هذه السياسة مع الجميع، فهي لايهمها طرقي أو مصلح، المهم عندها كما عند كل مستعمر أن تتنافر النفوس، وأن يجهز بعضهم على بعض،حتى يتمكن من تحقيق أهدافه (ابولحية، 2015، ص 172)

- ويذكر الكثير من الباحثين بناء على هذا أن الإدارة الفرنسية كانت تستعمل الطرق الصوفية لتحقيق أهدافها وخدمة مصالحها عبر استعمال العملاء وتوجيههم في خدمة مصالحها، ولعل أحسن مثال على هذا ما كتبه مص، الحاج في مذكراته، من أن جاسوسا فرنسيا كان يسمى ليون روش (سعدالله، 1982، ص 236) ألف كتابا سنة 1884م تحت عنوان)ثلاثون سنة داخل الإسلام)، يقص فيه أن هدفه الوحيد من اعتناقه الظاهري للإسلام كان يتمثل في الحصول على فتوى من القادة الدينيين لوقف القتال ضد الاستعمار، وقد تحصل على تلك الفتوى مقابل دفعه نقودا من الذهب إلى قادة الزوايا أو الطرقية(ابولحية، 2015، ص 172).
- المشروع النهضوي للإصلاحيين كان يفرض عليهم الدخول في مواجهة مع الطرقيين وانحرافاتهم، فكل بناء يبدأ في الحقيقة من الأساس وبناءاً على ذلك ركز الاصلاحيون حربهم الاولى بهدف تطهير العقائد من الخرافات التي تقف خلفها الصوفية الفاسدة المؤتمرة بأوامر الادارة الفرنسية فكانت محاربة الطرقيين تعني محاربة الاستعمار بطريقة غير مباشر

لان الاستعمار الفرنسي لم يكن ليضع قواعده في الجزائر لولا اعتماده على بعض الفئات الاجتماعية التي قدمت ضمائرها كبش فداء من أجل المحافظة على المصلحة والقوة (بنعدة، 2004م، ص 237)

3-2-مظاهر الصراع

شهدت السنتان 1932-1933م تراشقا صحفيا عنيفا واتهامات متبادلة بين الفريقين، وصلت الى حد المهاترات السخيفة والكلمات البذيئة التي ظهرت بصورة رئيسية بين " المرصاد (بنعدة، 2004م، ص 163) الاصلاحية التي كان يصدرها محمد عبابسة الاخضري من جهة و" الإخلاص (بالحاج، 2007، ص 82) و" البلاغ (بالحاج، 2007، ص 82) " من جهة الاخرى وقد كانت الشهاب التي يصدرها عبد الحميد بن باديس في قسنطينة اتبعت في ردها على تهجمات الطرقيين، الاسلوب العلمي الرزين ولعل احتدام الصراع تطلب صحف جديدة منها التي اصدرها الطرقيون وهي "المعيار" (بالحاج، 2007، ص 88) ومنها ما اصدره الاصلاحيون كرد فعل وهي " الجحيم " (بنعدة، 2004م، ص 163)

بين الاصلاحيون سبب هذا العداء للجمعية علماء السنة في عدة مقالات لجريدة البصائر بعنوان مؤتمر أصحاب الزوايا وشيوخ الطرق في الجزائر " ... تأسست قبل،وم جمعية في الجزائر توحد بين شيوخ الطرق فيها وأصحاب الزوايا المنتشرة في أرجاء العاصمة وكان الدافع لهذا التأسيس هو توحيد الجهود لرد حملة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين القائمة ضد الزوايا والطرق العاملة على حماية العقيدة الاسلامية من الدسائس اعدائها وابتداع المبتدعين فيها.

(البصائر، 1939م، ص 7)

شعر الطرقيون أنهم في صراعهم ضد الإصلاح استنفدوا كل أسلحتهم وأنهم لم يعودوا قادرين وحدهم على الوقوف في وجه جمعة العلماء التي كانت تنشط بشكل ملحوظ، فحاولوا العودة إلى التفاهم معها، ووجهت جريدة " الإخلاص "في شهر ماي 1933دعوة إلى الوفاق، ولكن جمعية العلماء كانت قد انطلقت في طريق الدعوة الإصلاحية، وبإمكانها العودة إلى الوراء والتخلي عن مبادئها (merad،1999 ،146p)

ظهرت مبادرة من طرف رئيس جمعية علماء السنة الداعية الى الصلح والتوفيق بين الجمعيتين والتي نشرتها الصحف الداعية الى للصلح والخلاف الدائر حول المسائل الدينية الجزئية مقترحا أن يكون هذا الصلح على أساس الابتعاد عن

خوض في مسائل الخلافية مثل أقوال الائمة والمذاهب والطوائف وطرق التصوف والعوائد والزوايا وشيوخها والتدخل في السياسة (بنعدة، 2004م، ص 220)

حول هذا الصلح الفاشل كتب في جريدة السنة مقال بعنوان حول شروط الحافظي للشيخ أبو العباس أحمد بن هاشمي (زعيم جمعية علماء السنة) جاء فيه "...إن الشروط التي اشترطها الحافظي غاية ما يقال فيها أنها كمامة ضيقة أرد أن يقيسها على افواه الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر في زمان أصبح فيه الامر بالمعروف و النهي عن المنكر الركن الاعظم الذي يتوقف عليه الاصلاح حال الامة وعليه .. لا صلح بعد الا رجوع الحق لناصبه واستقامة المشايخ على الطريقة بالنصح لله ورسوله في أمته ليهلك من هلك عن بينه ويحي من يحي عن بينه وأن الله لسميع عليم .

(السنة النبوية، 1933م، ص 1)

4- موقفهما من الاستعمار الفرنسي

4-1-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ان موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الاستعمار يمكن فهمه انطلاقا من الأهداف التي سعت إليها الجمعية وهي كما ذكرها الشيخ محمد خير الدين عام 1935 بقوله :إن أهداف الجمعية تتمثل في إحياء " :إحياء الإسلام الصحيح بإحياء الكتاب والسنة، ونشرها بين الناس حتى يرجع لهما" ومن دون أي خلاف بين مؤرخ أو غير مؤرخ إحياء مثل هذه الأركان هو احياء للدولة الجزائرية العربية الإسلامية التي يعت فرنسا طيلت احتلالها للجزائر القضاء عليها مما يعني أن هذا أول العداء بين الطرفين. (خيرالدين، دون سنة، ص 112)

الهدف الثاني والذي لم يعلن عنه الجمعية، فهو بعيد المدى يتمثل في استرجاع الوطن و استقلاله، وتكوين دولة عربية وهو هدف وطني سياسي أراد العلماء تغطيته عن طريق التأكيد على النهضة العلمية والدينية في الجزائر، وفي نفس الوقت كان العلماء يؤكدون أن السياسة لا يمكن أن تكون بعيدة عن العلم، وفي هذا الصدد نجد قول عبد الحميد بن باديس سنة 1937 لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض، إلا إذا نهضت السياسة بجد. (بالصفصاف، 1983م، ص 112) وما يؤكد أن العداء هو الصفة السائدة للجمعية والاستعمار هو موقف الاستعمار من الجمعية حيث يؤكد المؤرخون خشيت السلطات الاستعمارية من نشاط جمعية العلماء المسلمين، خاصة وأن مدارسها الحرة تفوقت في ميدان التعليم على مدارس الحكومية، وبدأت تخرج شبان يختلفون عن هؤلاء الذين أرادت الحكومة إعدادهم لمناصب الإمامة والقضاء هذا دفعها للقضاء عليها ومحاربتها، وذلك بمعاونة رجال الطرق الصوفية المناوئة لها والذين كانوا عملاء لها (جيل، 1996، ص 218) كان الكاتب العام بيرتون لمن نادى باتخاذ موقف سياسي ضد الجمعية، الذي اعتبرتها خطيرة نظرا لوطنيتها وحماسها المتدفق، وكراهيتها للأجنبي، ودعوتها الوحدوية والإسلامية الأخوية بين المسلمين الجزائريين، بغض النظر عن مذاهبهم ومطامحهم، ومكانتهم الاجتماعية، كما يرى بيرتون أن أخطر شيء على الوجود الفرنسي هو الدعاية المدرسية التي كان يقوم بها العلماء بهدف الهيمنة على روح الشباب وتوجيهه ضد فرنسا، فاقترح على السلطات الفرنسية في سنة 1932 واستعمال قانون18 أكتوبر 1832، القاضي بمنح رخصة حتى يعرقل نشاط الجمعية التعليمي فوافق الحاكم العام على هذا الاقتراح في صيف 1932 .

وصدر قرار مراقبة نشاط الجمعة أرسله الحاكم العام برسالة إلى عملة قسنطينة قائلا : يجب مراقبة وتفتيش المدارس والقبول وعزل المعلمين... الخ، وإخضاع المدارس التي تم افتتاحها من قبل الجمعية (بالصفصاف، 1983م، ص151)

وطلب بيرتون الكاتب العام من عامل عمالة قسنطينة أن يطبق هذه التدابير بمنتهى الحكمة وهكذا شرعت الإدارة منذ سنة 1932 تشدد الخناق على الجمعية وتعرقل نشاطها (بالصفصاف، 1983م، ص 163)

استمرت هذه المضايقات، ففي 1937 أصدرت الإدارة الفرنسية قوانين غلق المدارس لأنها تفتقر لرخصة قانونية، هذا المرسوم كان بمثابة ضربة قاسية للعمل الإصلاحي المدرسي، الذي كانت تقوم به الجمعية (merad،1999 ،146 p)

4-2-جمعية علماء السنة

يؤاخذ الطرقيون مما أسسوا جمعية علماء السنة في موقفهم غير الواضح من الاستعمار فهم لا يظهرون العداء للاستعمار بنفس الصورة التي تظهرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رغم التوجه الديني لهم كما نجد أن الاستعمار الفرنسي كان من الداعمين للجمعية علماء السنة على حساب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وغايته في ذلك تمزيق الجزائريين الى طوائف ونجد الكثير من الأدلة التي تبين أن العلاقة بينهما كانت ودية ونذكر

نشر الشيخ القاسمي مقالا في جريدة البصائر بعنوان "**الاستعمار و الطريقة**" بين من خلاله علاقة المصلحة المشتركة بين الطرقيين و الاستعمار، فالطرقيون يبحثون على المال و النفوذ و للحصول عليه كان عليهم تقديم خدمات كثيرة للاستعمار من تأييد لسياسته من جهة أو التقرب الى حكامه في الجزائر فيقول القاسمي " ... لقد كانت الطرقية قبل،وم في نظر بسطاء العقول فرضا دينيا واجبا على كل مسلم و مسلمة، ومن تمسك بها و عمل لفائدة شيوخها عفي من القيام ببقية الفرائض، لكن ما برح هؤلاء المشايخ حتى نشروا الخرافات التي غزت العقول وتمكر صفوها، وعادت تعتبر الطريقة باعتبارها الحقيقي مسجلة باسم التيجانية والرحمانية والقادرية والتي انفضت خزائنها وميزانيتها بعد هجمة الاصلاحيين عليها والتي قضت على نفوذها المادي والادبي، فعقدت اجتماعات تلوى الاخرى و قررت الاتصال بالقائد الاعلى لغلاة الاستعمار الذي يرجع أمرها إليه وفعلا اتصلت به الطريقة و الذي أمرها بتوجيه ضربة لكل من يريد الاسلام والعروبة خيرا .... وهنا تبين لنا وتحقق أن الاستعمار والطريقة وحدة لا تتجزأ وكيف لا يتحدان ويعملان جنبا الى جنب على تطويق الحركة الاصلاحية – لا قدر الله – وبانتشار هاته الاخيرة تضمحل الاخرى وتصبح الامة آمنة مطمئنة على دينها ولغة دينها من عبث العابثين والله يتولى الصالحين " (البصائر، 1939/06/09، ص 2)

نقلت جريدة الصراط الى القراء قيام اعضاء مؤتمر الطرق الاسلامية الجزائرية بزيارة الو، العام الفرنسي للجزائر وبنيابة عن زملائه القى الشيخ مصطفى القاسمي من زاوية الهامل خطابا أعرب فيه للسد الوالي العام هما يحمله الجميع من عواطف الاخلاص الكامل للام وطنهم فرنسا ومن الارتباط والتعلق الودي الخالص بشخصه وأن رؤساء الطرق رجال نظام وسلام وهم يشكرون باحترام مزيد اهتمام جانب السيد الوالي العام عما أصدره واستصدره من الأوامر وما اتخذ من الوسائل لتحسين حالة رعاياه المسلمين (الصراط، 1933، ص 04)

وقد حلل الشيخ دراجي هذه العلاقة الموجودة بين الطرقيين والاستعمار فقال: ". ولكن الحقيقة هي ان الطرقيين لا يعنيهم من امر الامة شيء ما دامت الغاية عندهم تبرر الوسيلة وغايتهم املاء جيوبهم واقاء نفوذهم و القضاء على جمعية العلماء ولو كان في القضاء عليها القضاء على البقية الباقية من الاسلام والعربية في هذه البلاد ... نعم ضمن الطرقيون في العام الماضي برقية ولائهم للحكومة طلب الخبز للامة وهو كما ترى يدل أن الطرقيين يفكرون ببطونهم لا

بعقولهم و هذا الطلب عينه هو ما طلبه و يطلبه غلاة الاستعمار عندنا والطرقيون و المستعمرون يتحدون في غاية واحدة وهي استغلال الامة ومن ثم راحوا يعتبرونها حيوانا أعجم لا يحتاج الى اكثر من الاكل والشرب حتى يسمن لهم ويسخره وقت الحاجة كل في ناحيته.." (البصائر، 1939/04/28م، ص 4)كما تؤكد المصادر دعمهم لسياسة الاستعمار رغم أنها قد تضر بالشعب والهوية والدين ونموذج عن ذلك نجد المقال الذي نشرته البصائر للشيخ عبد الحميد بن باديس الذي بين موقف الطرقيين من الفرنسة بعنوان **رؤوس الطرقية يؤيدون قانون 8 مارس أعلى هذا يكون الاتحاد ؟** جاء فيه " ..ختم رؤوس الطرقية الذي عقدوه بالعاصمة كما أذاع ذلك راديو باريس و اعلنته كبريات صحف الاستعمار تمثل في القرارين اللذين قدموهما للحكومة باسم اجتماعهم فإذا في ذلك النص تأييدهم لقانون 8 مارس ودفاعهم عنه وزعمهم أنه لا يمس الدين بسوء كتلوا ذلك بأسلوب عرفناه من قبل من الادارة في السنة .. كان هذا القانون الذي تشهده الامة يدعوا الى تعطيل المدارس وتشريد التلاميذ والرخص الممنوعة والمسترجعة و المحاكمة الموالية إثر قانون 8 مارس المشؤوم الذي طبق على الجزائر الا لأنها همت بتعلم دينها و لغتها تعلما جيدا مفيدا ثم قال رؤوس الطرقية انه لم يمس الدين بسوء ... لا والله ما كنت احسب ان القوم ينتهون الى هذه الغاية وينقلبون هذا المنقلب ويبلغون الى هذا الحد من الجرأة على الله والاستهانة والاستخفاف بالمسلمين (البصائر، 1939/04/28م، ص 1)

كما يؤكد أبو القاسم سعد الله بأن هذه الطرق حظيت على دعم و مساندة الاستعمار لها خاصة الطريقة العلوية وشيخها مصطفى بن عليوة الذي كان يعتبره الفرنسيون بانه من الفلاسفة العصر ومرابطا عصريا وهنا يرجح سعد الله أن انتشار طريقته قد يعود الى التحالف مع الادارة الفرنسية التي تمتلك سلاح تقييدها أو تحريرها، فالطريقة التي تو، الادارة وتجاملها وتقدم لها عربون الطاعة والخلاص فهي في هذه الحالة تفعل ما تشاء بل تجد الدعم المادي و المعنوي، وهذا ما ينطبق على الطريقة العلوية التي تلقبت تأييدا ظاهريا و باطنيا من طرف فرنسا(سعد الله، 1998، ص 128) .

الخاتمة

بعد هذه الدراسة للصراع بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجمعية علماء السنة نصل الى الكثير من النقاط وهي:

1- أن كلا من التيارا لاصلاحي المجسد في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجمعية علماء السنة من المؤسسات العلمية والثقافية والإصلاحية الجزائرية التي ساهمت في المحافظة على الهوية الجزائرية بأبعادها المختلفة.

2- أن معظم الدراسات تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كجمعية وتنظيم ضمن الحركات السلفية التي كانت في ذلك الحين في أوج نشاطها، والخلاف بين هذه الدراسات في نوع التيار السلفي الذي تنتمي،ه الجمعية، وقد خلصنا من خلال البحث إلى أن الجمعية كمؤسسة وتنظيم حاولت أن تجمع بين مدرستين سلفيتين كبيرتين" السلفية المحافظة "، والتي أعاد إحياءها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، و" السلفية التنويرية " لتي أسسها الأفغاني وعبده ورشيد رضا وغيرهم.

3- على عكس العلماء المسلمين كانت جمعية علماء السنة مما وقف في حجر الاستعمار، وساهم في إذلال الشعب والسيطرة عليه، وتنويمه ودخول في خدمة الاستعمار عن طوعية، ونتيجة لهذه العلاقة بين الطرفين، والتي ساهمت من حيث لا تشعر في تحطيم الانغلاق الفكري، الذي كرسته بعض الطرق الصوفية، وفتحت المجال أمام تنامي الوعي الذي كان أكبر المكاسب التي استفادت منها الحركة الوطنية بصفة عامة، والحركة الإصلاحية بصفة خاصة.

4- إن صراع بين التيار الاصلاحي المتمثل في الجمعية مع جمعية علماء السنة المنحرفة كان بسبب آثارها الخطيرة في سائر الأمة كالتزهيد في العلم، وإفساد الفطرة، وشل العزائم، وقتل الفضائل النفسية وتضعيف المدارك، وتخدير المشاعر، إلى غير ذلك من الرذائل. وبسبب وقوف الطرقية معرقلا في وجه الحركة الإصلاحية ونهضة الأمة، وبسبب أنها كانت يد مسخرة للاستعمار يقويها ويحميها وأما الطرقيون فقد اعتبروا الاصلاحيين مرتزقة وأنهم دعاة الفرقة ونبذة الوحدة الوطنية الموجودة منذ قرون

5- يعيب بعض الكتاب من أمثال مالك بن نبي وبعض المؤرخين في تاريخ الجزائر أن الصراع بين الطرفين كان ذو طابع ديني لكن الهدف كان هو المناصب السياسية والمقاعد في البرلمان والدليل ان الجمعية شاركت في المؤتمر الإسلامي مما يظهر توجهها السياسي

التوصيات

لعل أهم توصية نخرج بها من هذا البحث المتواضع هو توجيه النقد لكلا الطرفين لان الامر يتعلق بالصدق الديني والطرفين وجها النقد للعقائد مما يشكك المسلم الجزائري في دينه ويقسمه الى فرقتين،وأيضا كان الاصح هو توحيد الصفوف لان العدو واحد ومشترك وهو الاستعمار الفرنسي ونجد بعض الكتاب من أمثال مالك بن نبي وبعض المؤرخين في تاريخ الجزائر يوجهون النقد كونهذا الصراع كان ذو طابع ديني لكن الهدف كان هو المناصب السياسية والمقاعد في البرلمان والدليل ان الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين شاركت في المؤتمر الإسلامي مما يظهر توجهها السياسي .

قائمة المراجع

الابراهيمي محمد البشير، (1963م) عيون البصائر، دار المعارف، القاهرة، 1963م

ابو لحية نور الدين. (2015م) جمعية العلماء والطرق الصوفية ج1. دار علي بن زيد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر

بن العقون عبد الرحمن بن براهيم، (1984م) الكفاح القومي السياسي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب.

بيوض الشيخ (1991م) لشيخ بيوض والعمل السياسي، المطبعة العربية،غرداية، الجزائر

التركي رابح،(1969م) الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في مجال التربية والتعليم 1900-1940م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر

زرمان محمد، (دون سنة) معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند السيخ البشير الابراهيمي، منشورات جامعة باتنة، الجزائر م

سعد الله أبو القاسم، (1992م) . الحركة الوطنية ج1. ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت. لبنان.

سعد الله، أبو القاسم (1998م) تاريخ الجزائر الثقافي.ج4.ط1. دار الغرب الإسلامي. بيروت.لبنان.

الطالبي عمار،(1997م) آثار ابن باديس ج1، آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس، ط3، الشركة الجزائرية،الجزائر.

طهاري محمد، (2010م) الحركة الاصلاحية في الفكر الاسلامي المعاصر ط1، دار الامة للنشر والتوزيع، الجزائر.

ناصر محمد (2007م) الصحف العربية الجزائرية من 1847م الى 1954م ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.

الورتلاني الفضيل، دونسنة، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر

- Ali merad, 1999. Le refomisme musnlman en Algérie de 1925 /1940, les èditions el-hikma, Algérie

- بالصفصاف عبد الكريم،(1983م) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الاصلاحية الاخرى 1931م 1945م، رسالة ماجيستير في التاريخ المعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر.

بعجال أحمد،(2006م) الخطاب الاصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، مذكرة ماجيستير. جامعة منتوري.قسنطينة.الجزائر.

بن عدة عبد المجيد،(2004م) الخطاب النهضوي في الجزائر 1925-1940م رسالة دكتورها. جامعة الجزائر 02. الجزائر 2004م

بوغانم غزالة. (2008م) الزاوية العلاوية في الجزائر ومكانتها الدينيةوالاجتماعية 1909-1934م مذكرة ماجيستير. جامعة متنوري قسنطينة الجزائر.

مولاي عبد القادر (2007م) أقطاب الاصلاح في منطقة القبائل، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر

البصائر،القاسمي الشيخ، الطرقية والاستعمار، العدد 169، السنة الرابعة، الجمعة 20ربيع الثاني 1358ه الموافق لـ 9 جوان 1939م، دار البعث قسنطينة. الجزائر

الصراط. ال عدد6. السنة الاولى. 4 رجب 1352ه الموافق لـ 1933/10/23م. دار الغرب الاسلامي بيروت، بيروت لبنان من دون سنة

البلاغ الجزائري، بدون إمضاء حول جمعية العلماء المسلمين، العدد 256، السنة السابعة، 1932/05/27م مكروفيلم .37 المكتبةالوطنية،الجزائر 2017 م.

البلاغ الجزائري، الرابحي، جمعية العماء المسلمين، العدد 257، السنة السابعة، 1932/06/03م مكروفيلم .37 المكتبةالوطنية،الجزائر 2017 م.

البلاغ الجزائري، المشتركون عرض حال احتجاج من أعضاء جمعية العلماء الكثيري العدد، ع 257، السنة السابعة، 1932/06/03م، مكروفيلم .37 المكتبةالوطنية،الجزائر 2017 م.

البلاغ الجزائري،صديقكم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد 257، السنة السابعة، 1932/06/03م، مكروفيلم .37 المكتبةالوطنية،الجزائر 2017 م.

البلاغ الجزائري،الحافظيمولود كتاب مفتوح الى حضرات علماء المسلمين الجزائريين، العدد 265، السنة السادسة، 1932/08/05م، مكروفيلم .37 المكتبةالوطنية،الجزائر 2017 م.

مريوش أحمد، (1996) دراسة بعنوان: مساهمة الحركة الإصلاحية في بناء المجتمع الجزائري المعاصر 1900/1952، مجلة الرؤية، العدد 2، ماي/جوان، الجزائر